



خطبة صلاة الجمعة 24 / 8 / 2018 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(حرب المصطلحات (الله أكبر))

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ نَكِيرًا﴾ [الإسراء: 111].

وقال تعالى في شأن الصيام: ﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185]

قال سبحانه في شأن الحج وما يكون فيه من نُسك يتقرب فيه العبد إلى الله: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: 37]

وقال جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (I) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكْبِرُ﴾ [المدثر: 1 - 3]

روى الإمام مسلم بإسناده "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد اقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، -أي: مستوية- وأن غراسها، سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

عنوان خطبة اليوم: حرب المصطلحات (الله أكبر)

أيها الإخوة:

كل عام وأنتم بخير ونسأل الله تعالى أن يملأ حياة الإنسان على هذه الأرض هداية ليسعد في الدنيا ثم ينتقل لسعادة الآخرة.

عزمت يوماً أن أعقد سلسلة خطب عنوانها (حرب المصطلحات) وأنا أحضر لكم مادتها وأجمع مفرداتها، فإذا اكتمل التقميش والتفتيش سأعرضها عليكم بإذن الله. غير أنني الآن ولمناسبة عيد الأضحى المبارك وفيه ما فيه من كثرة التكبير سأتناول في خطبة اليوم مصطلحاً واحداً (الله أكبر). تعلمون أيها الإخوة أن المعركة بين الحق والباطل مستمرة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وتتخذ هذه المعركة أشكالاً متعددة؛ فحيناً حرب بالسلاح وحيناً حرب بالإعلام وحيناً حرب نفسية وحيناً حرب سكانية وحيناً حرب رموز وحيناً حرب مصطلحات.

وفي حرب المصطلحات يتخذ أعداء المسلمين أربع طرق؛ فمرة يشوهون المصطلح الجيد، ومرة يجمعون المصطلح السيء، ومرة يطمسون مصطلحاً مهماً، ومرة يشيعون مصطلحاً خبيثاً. ففي سياق تشويه المصطلح الجيد تصير كلمة (الله أكبر) مرتبطة بذبح إنسان وقطع رأسه على شاشات الفضاء، أو مرتبطة بتفجير مشفى أو تفخيخ مدرسة ومنشأة عامرة. وتصير كلمة (لا إله إلا الله) شعار لعلم داعش وأخواتها التي تستبيح الحرمات كلها، وتصير المقاومة الفلسطينية عصابات إرهابية، وغير ذلك كثير في تشويه المصطلح الجيد.

وفي سياق تجميل المصطلح السيء يصير الخمر مشروبات روحية، والشذوذ خياراً جنسياً، والزنى والفحش سياحة جنسية، والمومسات ومدمني المخدرات هم الفئات الهشة اجتماعياً. وغير ذلك كثير في تحسين المصطلح السيء.

وفي سياق طمس المصطلحات المهمة يلغي مصطفى كمال أتاتورك يوماً الأذان باللغة العربية لينسى الناس شعار الإسلام، ويُحذف من الخرائط اسم الأندلس لينسى المسلمون فردوسهم المفقود، وغير ذلك كثير في طمس المصطلح المهم.

وفي سياق إشاعة المصطلح الخبيث تشيع أميركا عندما أرادت غزو العراق مصطلح الفوضى الخلاقة، ويضرب العدو الصهيوني قطاع غزة باسم مكافحة الإرهاب. وغير ذلك كثير في إشاعة المصطلح الخبيث.

وما حرب المصطلحات هذه بطرقها الأربع إلا لترويض الشعوب للاستكانة للهزيمة والانكسار والتبعية للصهاينة وأعداء العرب والمسلمين.

الله أكبر: مصطلح إسلامي أصيل مرتبط عند المسلم بفرحته لوحدة المسلمين واجتماعهم ومواساة قلوبهم لضعيفهم وغنيهم لفقيروهم، فالحج ذلك المؤتمر الإسلامي الذي يجمع أبناء العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه تتوافق أكثر أعماله مع عيد الأضحى حيث يشرع التكبير، «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح من غداة عرفة، أقبل على أصحابه، فيقول: على مكانكم، ويقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد، فيكبر من غداة عرفة إلى صلاة العصر، من آخر أيام التشريق» [الدارقطني].

فإن الله أكبر مصطلح مرتبط بتوحيد المسلمين لنشر الخير، وليس مرتبطاً بتفجير البنيان وقتل الإنسان. حدثنا شيخنا الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله أنه زار الصين يوماً للدعوة إلى الله، وبينما كان ماشياً مع مترجمه عائداً من إحدى اللقاءات إلى مكان إقامته، لقيه رجل صيني فاعترض سيره وقال للشيخ بلغة المستفهم: الله أكبر؟ يعني هل أنت مسلم. ففهم الشيخ مراده وقال له بلغة المقر: الله أكبر.

فتعانقا وجعلا يبكيان والرجل الصيني يقول: إنما المؤمنون إخوة.

فإن الله أكبر مصطلح يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا ينفرد.

الله أكبر: مصطلح إسلامي أصيل مرتبط عند المسلم بفرحته لامتناله أمر الله في صيام رمضان وإكماله العدة ودفعه زكاة الفطر يواسي بها إخوانه الفقراء، فالتكبير شعار المسلمين في عيد الفطر، يكبر في المنازل والمساجد والأسواق والطرق عند الغدو إلى الصلاة جهراً، من غروب شمس ليلة عيد الفطر إلى أن تبدأ صلاة العيد ﴿وَتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

الله أكبر: مصطلح إسلامي أصيل مرتبط عند المسلم بكل صلاة يصليها، قال النبي صلى الله عليه وسلم «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم» [الترمذي] وقد قال جمهور الفقهاء على أن الصلاة لا تنعقد إلا بلفظ التكبير، فلو قال الله أعظم لم تنعقد به الصلاة وهذا قول مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف وداود وغيرهم، ولو أتى بغير ذلك من الأذكار مثل سبحان الله والحمد لله لم تنعقد به الصلاة.

الله أكبر: مصطلح إسلامي أصيل مرتبط عند المسلم بذلك النداء العلوي الذي كان أول من صدح سيدنا بلال بن رباح ليعلن زوال الفوارق الطبقية ومآثر الجاهلية والاعتزاز بالآباء والأجداد، فبلال

الحبشة يعلن في الأذان أن التفاضل في الإسلام ليس لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود ولكنه تفاضل بالتقوى، والتقوى علم وعمل.

وكم يأنس المسلم عندما يزور بلداً فيسمع صوت الله أكبر يعلو في مآذنها، فترتاح نفسه ويطمئن قلبه بأن له إخوة في الدين لم تلدهم أمه.

وكم ضاق صدر مسلم لأنه اضطر لأن يكون موجوداً في بلد لا يسمع فيه صوت الله أكبر، وكم ممن بكى من أقاربنا وهو يحدثنا من تلك البلاد قائلاً هنيئاً لكم لأنكم تسمعون صوت الأذان ينادي: الله أكبر.

حدثني طبيب سوري أقام في بلد أوربي أربع سنوات قال: تفحم قلبي لأنني لم أسمع صوت الأذان طيلة إقامتي فيها.

وتعلمون أن برلمانات غربية وشرقية تجتمع وتتفرق مرة بعد مرة لتوافق أو لا توافق على رفع صوت (الله أكبر) في سمائها.

أيها الإخوة:

(الله أكبر) مصطلح يُراد به في الإسلام تعظيم الربّ تبارك وتعالى وإجلاله، واعتقاد أنّه لا شيء أكبر ولا أعظم منه، فيصغر دون جلاله كلُّ كبير.

(الله أكبر) مصطلح يُراد به في الإسلام أنّ تشهدَ كِبَرِيَاءَ الله تعالى دَائِمًا حَتَّى تَنْسَى كِبَرِيَاءَ غَيْرِهِ، وَتُبَالِغَ فِي التَّوَاضُّعِ لَهُ.

(الله أكبر) مصطلح يُراد به في الإسلام أن يكون (الله) عند العبد أكبر من كلّ شيء.

يكون الله أكبر من هواك فإذا دعتك الشريعة إلى أمر ودعاك هواك إلى ضده ضربت بهواك عرض الحائط وتبعت أمر الشريعة.

يكون الله أكبر من آلامك وأحزانك فإذا أراد الهم والحزن أن يقعداك جاءك إيمانك بأن الله أكبر فحركك وأقامك وأمدك بالقوة والأمل.

يكون الله أكبر من مخاوفك فإن أخافك امرؤ من تطبيق أمر الله أمنك إيمانك بأن الله أكبر لتقيم أمر الله وشرعه بالحكمة والموعظة الحسنة.

يكون الله أكبر عندك من أعداء المسلمين فمهما رأيت من اجتماع الباطل وعدده وعُدده، أيقنت بأن الله أكبر، وأن (الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

إنَّ التكبير شأنه عظيم وثوابه جزيل وقد تكاثرت النصوص في الحث عليه والترغيب فيه، وهو أحد الكلمات التي هي أفضل الكلام بعد القرآن: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا﴾: "يقول وعظّم ربّك يا محمد بما أمرك أن تعظّمه به من قول وفعل، وأطّعه فيما أمرك ونهاك".

وفي هذا إشارة إلى أنّ الدّين كلّهُ يُعدُّ تفصيلاً لكلمة "الله أكبر" فالمسلم يقوم بالطاعات جميعها والعبادات كلّها تكبيراً لله وتعظيماً لشأنه وقياماً بحقّه سبحانه، وهذا ممّا يبيّن عظمة هذا المصطلح وجلالة قدره، وسبب هجوم أعداء الإسلام عليه وتشويههم له. روى الترمذي وغيره قال صلى الله عليه وسلم: «لأنّ أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس».

وفي رواية: «أربع أفضل الكلام لا يضرّك بأيّهن بدأت، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

والحمد لله رب العالمين